دراسات فى الأدب الانكليزى

وليم وردزورث

William Wordsworth

بقلم جريس القسوس

نشأته وطفولته :

هو زعيم طائفة شعراء البحيرات وسيد شعراء الانكليز بعد شكسبير وملتن . ولد هذا الشاعر فى السابع من شهر ابريل سنة ١٧٧٠ فى كوكرموث فى إقليم البحيرات من مقاطعة كمبرلند . وهو من أسرة متوسطة فى الجاه والثروة ، توفيت أمه وهو ابن ثماني سنين ، وكانت تؤمل لوفسح لها فى الأجل أن تشاهد الدور الذى سيمثله على مسرح الحياة ، لأنها لمحت فيه طفلاً حدة طبعه ورجاحة عقله بميزانه عن بقية إخوته الخمسة . ولقد كان والداه مرشديه ، فهما اللذان تعهدا إنماء قواه العقلية ، وتوجيه مداركه الشعرية فى أقوم السبل وأرشد الطرق ، وذلك بتلقينه أشعار القدماء والمحدثين ، وإلى ذلك يشير وردزورث فى قصيدته « الفاتحة » The Brelude

كان موطنه مزداناً بالمناظر الشعرية الخلابة التى استهوت فؤاده ، ووجدت منفذاً إلى عقله فظهر أثرها فى شعره

وبعيد وفاة والدته قصد مدرسة هوكشد حيث تلقى مبادئ العلوم والفنون . وكانت هذه المدرسة فى محيط رقيق ساذج ، تكتنفها المناظر الطبيعية من جميع الأطراف ، مما أغوى شاعرنا وجعله يصرف أوقات فراغه فى حضن الطبيعة . فتارة تلقاه يتمشى على شواطئ البحيرة ، وأخرى تجده يصطاد الأسماك ويداعب العصافير فى أعشاشها ، أو يمرح بين التلال والشعاب يلاعب المعزى ويعبث بالحملان . وكثيراً ما كان يصطحب الكتب الى تلك الحقول فيطالع منها مايستسيغه ويبعث فى نفسه أملاً ورغبة فى الحياة

فى كمبردج :

توفى والدته قبل أن يتم دروسه الابتدائية ، لكن أريحية عمه وليم كفلت له الالتحاق بكلية القديس يوحنا فى جامعة كمبردج . وقد كره الشاعر هذه البيئة الجديدة ، وبخست نفسه هذه الحياة المقيدة فى بدء الأمر ، إلا أنه عاد فألفها وتشبع بروح ذلك المكان بعد أن جالت فى ذهنه صور الشعراء الذين قضوا قسما من حياتهم فيه . فقد أمده خياله الخصب بعالم روحى مطلق يعيش فيه ويستأنس بأهله لما لم تتح له الظروف أن يعيش طليقاً فى الحياة . ولقد كان يتردد على أهله فى پيرنث أو فى هوكشد كلما سنحت له الفرص . وجرى له ذات يوم حادث غريب كان له أثر بعيد فى حياته الأدبية ، إذ بينما كان يتسلق أحد التلال فى هوكشد رأى رؤيا غريبة ظن أنه أوحى اليه فيها بالعمل العظيم المعد له . وقد ورد ذكر هذا الحادث باختصار فى قصيدته (الفاتحة) ولا نعلم عنه أكثر من ذلك

رحلته الأولى :

اتفق شاعرنا وصديقاً له على القيام برحلة كبيرة فى جبال الألب فى إحدى فرص الصيف ، وكان ذلك على أثر انتشار الأخبار الأولية عن الثورة الفرنسية . استأجر الصديقان سفينة وأبحرا فيها إلى ميناء كاليس ونزلا فى اليوم الذى حلف فيه لويس السادس عشر يمين الاخلاص للدستور الجديد . ومن ثم قصدا الجنوب إلى بحيرات إيطاليا وسويسرا ، فصرفا على شواطئها بعض الوقت الممتع ، ثم قطعا سمپلون ومن هناك كرا عائدين إلى الأوطان ، وفى طريقهما لقيا جيوش الثوار ناشرين لواء الحرية ومنتضين سيف العصيان على الملكيين . ولقد كان لهذه الرحلة أثر كبير فى نفس وردزورث ، إذ أوحت إليه بروح شعرية وثابة ونفس متمردة تنزع إلى الحرية وتطلب التجديد ، فلا غرو إن انتصر للثوار الفرنسيين ورفع صوته معهم منادياً بسقوط باستيل الاستبداد

فى فرنسا مرة ثانية :

ما كاد الشاعر يتسلم شهادته من كمبردج حتى عن له أن يزور فرنسا مرة ثانية ليتصل بالثوار الذين تشبعت نفسه بمبادئهم فى رحلته الأولى . شرع فى ذلك ماشياً سنة ١٧٩٠ ، فمر بباريس عش الثوار حيث قضى بضعة أيام يرصد فى أثنائها حركات الثوار عن كثب ، ومن ثم رحل إلى أورليان فبلوا Blois حيث

تعرّف بابنة جرّاح فرنسي اسمها أنيت فالون Annette vallon وأقام هناك برهة يتعلم عليها مبادئ الفرنسية . ولقد كانت هذه الفتاة على حظ وافر من الجمال مما اشتهى شاعرنا وأوقعه فى الشرك ، فوضعت على أثر ذلك طفلة . رأى وردزورث أن يمحو إثمه هذا بالزواج منها ، لكن الظروف لم تسمح له بالبقاء طويلاً فى أرض الثوّار لنفاد دراهمه وقطع عمه المساعدة المالية عنه متوخياً بذلك إرغامه على الرجوع إلى بلاده لئلا يقع فى حبائل الملكيين . وإننا لنحمد الأقدار التى أوحت الى عمه ذلك ، إذ لولاه لقضى شاعرنا كما قضى غيره من عباقرة الرجال أنصار الثورة الفرنسية ، ولم يخلف لنا بعدُ تراثاً أدبياً يُذكر

ولقد أثارت عليه فعلته هذه حرباً عواناً فى الأوضاع الاجتماعية والأدبية فبعد أن كان متّصفاً بالفضيلة والكمال إلى حدّ القداسة أمسى اسمه مقروناً بالكفر والاثم خصوصاً بعد أن كشف لنا الدكتور هارير عن هذه الصحيفة السوداء من حياته فى فرنسا فى كتابه « حياة وردزورث » . ولقد ظهر فى سنة ١٩٢٢ كتاب لاميل ليجوس اسمه « وليم وردزورث وأنيت فالون » يصف فيه علاقة الشاعر بمشوقته المنكودة الحظ فى بلوا . ولم يُشر الشاعر إلى هذه الحادثة فى جميع أشعاره أو كتاباته النثرية إلا بعض الاشارة والتلميح فى قصيدته قودرا كور وجوليا Vaudracore & Julia

وفى أثناء إقامته فى بلوا اتّصل بفيلسوف وزعيم جمهورى كبير هو ميشيل بيوپاى ، فصرف معه طوال الليالى على ضفّة اللوار فى الجدل والبحث فى حرية الانسان السياسية والاجتماعية مما غذى عقيدة شاعرنا الثورية وأذكى فى نفسه نار التمرد والخروج على المبادئ القديمة . ولقد سوّلت له نفسه الانخراط فى عداد الثوار وحضّهم على مهاجمة معاقل الملكيين . بيد أنه لم ينفّذ رغبته هذه لنفاد دراهمه كما بينا فعاد إلى انكلترا وفى نفسه غصة وفى فؤاده حرقة لحبوط مسعاه وتلوث اسمه بذلك الفعل المنكر

شقيقته :

كان للشاعر شقيقة اسمها دوروثى لا تقل عنه فى توقد الذهن وحدّة الذكاء ونفاذ البصر ، وكثيراً ما كانت توجه نظره إلى أمور دقيقة ، وحوادث غريبة ، ومناظر بديعة فيتخذها مواضيع لقصائده . وقد أخذت على نفسها مرافقته فى غدواته وروحاته منذ صباها رغم معارضة أمها لها . فعند ما لمحت فيه وميض العبقرية وفيض الشاعرية هبت إلى مناصرته وتشجيعه على المضى فى سبيله . وكانت فى أكثر الأحيان تقرأ أشعاره وتنظر فيها قبيل إعدادها للنشر نظر الناقد الشفيق . وقد وجد فى أخته هذه كل العزاء والأنس بعيد رجوعه من فرنسا كاسف البال كسير القلب لما جنته يداه من إثم

فى فرنسا :

كانت أخته تقطن آنئذ فورنست فقصدها شاعرنا ، وهناك نظم عدة قصائد جمعها فى مؤلفين سماها « سير فى الليل » An Erening Walk « ومقطعات وصفية » Descriptive shetches . ولقد أعجب كولردج بهما وتكهن لناظمهما بمستقبل باهر فى عالم الأدب رغم ما وُجّه اليه من نقد على صفحات « منثلى ريڤيو » و « ادنبرج ريڤيو » . وفى تلك الأثناء خاض الشاعر المعامع السياسية فنادى بتحرير الزنوج ومعاضدة ثوّار الفرنسيين ، ويعالج فى بحث له يرد به على أحد أنصار الملكية مبادئ الحرية منادياً باتساع نطاق الديموقراطية على حين لم يكن فيه الرأى العام قابلاً للأخذ بهذه الآراء المبتسرة

قضى شاعرنا ردحاً من الزمن حائراً بين الكنيسة والأدب لضيق ذات يده . على أن المنية وافت صديقه الحميم ريسلى كالفرت فأوصى هذا قبيل مماته لوردزورث بتركته البالغة نحو ٩٠٠ ج مما حداه إلى الانصراف بكليته إلى الأدب وقرض الشعر . ولقد كان لهذه المبرة أثر ظاهر فى حياته ، وقد أشار اليها فى « الفاتحة » وفى قصيدة موضوعها « إلى كالفرت »

والظاهر أن شاعرنا لم يكن على وئام تام مع أقاربه . نستنتج هذا من رسالة بعثت بها شقيقته دوروثى إلى أحد أصدقائها تقول فيها : « إن أخى لناقم على أقاربه ، ولا يصفو قلبه إلا لأخويه يوحنا وخريستو »

(يتبع)

مبريك القرمى